الصراط والحوض دراسة عقدية
في ضوء شرح المنظومة الجزائرية للمنشليلي (ت 979هـ)

م.م. صفاء ناصر حسين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية
Safanasr664@gmail.com
أ.د. محسن قحطان حمدان
جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية
Mohsem.Hamed@cois.uobaghdadedu.com

تاريخ النشر :2025/3/31
تاريخ الاستلام: 2024/3/4 **تاريخ القبول: 2024/5/30**
DOI: 10.54721/jrashc.22.1.1320

الملخص :
تتلخص طبيعة الدراسة في معرفة السمعيات في المنظومة الجزائرية وهي من المواضيع العقدية المهمة في الدين الإسلامي وتناولت موضوع الصراط والحوض باعتباره من المواضيع التي لها أثر في حياة الفرد وجعلت منها محاور علمية تقود الناس بالعقل والقلب الى الإيمان الراسخ وكان الإمام المنشليلي قد أوضح هذه المواضيع بصورة عقدية عارضاً جميع المسائل من جوانبها اللغوية والفقهية والكلامية ويدعمها بالأدلة النقلية والعقلية ولقد خرجت بنتائج تناولت فيها ما جاء في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الصراط، الحوض، دراسة عقدية.

Striae and pelvis, a nodal study In the light of the explanation of the Algerian system of Al-manshili (d. 979 Ah)

Assistant instructor.Safaa Nasser Hussein
College of Islamic Sciences /University of Baghdad/
Prof. Dr. Mohsen Qahtan Hamdan
College of Islamic Sciences/ University of Baghdad/

Abstract
The nature of the study is summed up in knowledge of audiology in the Algerian system, which is one of the important doctrinal topics in the Islamic religion. It dealt with the topic of the path and the basin as it is one of the topics that have an impact on the life of the individual, and made of it scientific axes that lead people with mind and heart to firm faith. Imam al-Manshalili had explained these topics in a doctrinal manner. Presenting all issues from their linguistic, jurisprudential, and theological aspects, and supporting them with transmissional and rational evidence, I produced results that addressed what was stated in this research.

Keywords: path, basin, doctrinal study.

المقدمة:

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

ما دفعني الى الكتابة في موضوع (الصراط والحوض) هو جزء مستقل عن مباحث السمعيات في المنظومة الجزائرية للإمام أحمد المنشليلي (ت: 979هـ) وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية في حياة المسلم ولا ينبغي لطالب العلم الجهل بالأمور العقدية والحياة البرزخية التي هي من الأمور الغيبية التي وردت الينا عن طريق السمع والمراد بالسمع الأدلة النقلية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ) وسُميت بالسمعيات لأننا لم نشاهد أي مشهد من مشاهدها ولا طريق لمعرفتها سوى الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

منهج البحث:

لابد لكل باحث عن منهج علمي يسير على خطاه في دراسته ليستطيع بسط موضوعاته البحثية على مسارات العلم وخطوطه السليمة وكان منهج بحثي وفق المحاور الآتية:

1- تتبعت المسائل العقدية في السمعيات ومنهج الإمام المنشليلي في تناول الصراط والحوض.
2- عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث الى مواضيعها في القرآن الكريم ذاكرة اسم السورة ورقم الآية.
3- عزوت الأحاديث الواردة في البحث عن مضانها وحاولت الاعتماد على أصح كتابين من كتب البحث (البخاري ومسلم).
4- وثقت النصوص التي نقلتها ونسبت الآراء الى أصحابها أو الفرق التي تمثلها بقدر الإمكان الى مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

قسمت البحث الى موضوع الصراط وفيه متطلبات وموضوع الحوض وفيه خمسة مطالب ثم الخاتمة والنتائج التي توصلت اليها وقائمة بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية وملخص لبحث باللغة الإنكليزية.

أما المقدمة فشملت على بيان، أسباب اختيار الموضوع وأهمية الموضوع ومنهجية البحث والخطة التي سرت عليها في كتابة البحث كالآتي:

المطلب الأول: تعريف الصراط لغةً واصطلاحاً

والمطلب الثاني: حكم الإيمان بالصراط وأدلة ثبوته

أما الحوض فكان المطلب الأول: تعريف الحوض لغةً واصطلاحاً

والمطلب الثاني: حكم الإيمان بالحوض وأدلة ثبوته

والمطلب الثالث: شبهات حول أحاديث الحوض والرد عليها

أما المطلب الرابع: موضع الحوض ثم الخاتمة والنتائج.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم أن يعمنا برحمته وأن يسلك بنا سُبل مرضاته وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: الصراط

ان المرور على الصراط أمر مفروض على جميع الخلق فلابد أن يمر عليه لقوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً}[1]، فهذا قسم من الله سبحانه وتعالى بمرور جميع الخلائق فوق الصراط بورود النار، فمنهم الطائع، ومنهم العاصي، ومنهم البر، ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن، ومنهم الفاسق، أما الكافرون فإنهم يسقطون في جهنم وينجي الله تعالى من رضا عنه وقبل منه صالح الأعمال وهو من الحقائق التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة والإيمان به بحسب ما وردت به النصوص.

يقول المصنف:

فـــالله نســـألُ فـــي نيـــل النجـــاة بـــه فـــالخوفُ مـــن زلـــلٍ مـــن ســـابقِ الزلـــلِ

يذكر المنشليلي (الزلل) الأول هو السقوط (والزلل) الثاني المعصية.[2]

المطلب الأول: تعريف الصراط لغةً واصطلاحاً

أولاً) تعريف الصراط لغةً: الصراط هو السبيل الواضح أصلهُ بالسين وانقلبت سينه مع الطاء صاداً لقرب مخرجها والسراط: الطريق الواضح وسُمي سراطاً لأنه يسترط المارة أي: يبتلعها لأنه يبتلع المارة والصراط: هو قنطرة للعبور فوق جهنم.[3]

ثانياً) الصراط اصطلاحاً:

عرفه المنشليلي بأنه جسر ممدود على متن جهنم وهو أدق من الشعر وأحدُ من السيف يَردهُ الأولون والآخرون لا طريق للجنة إلا عليه وقال بعض علماء السنة: إنه بسيط يقف الناس كلهم عليه، وعليه يكون حسابهم وهذا ما ذهب إليه أبو الحسن τ [4] والجسر يكون منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر يمر الناس عليه على قدر أعمالهم.[5]

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالصراط

اختلف العلماء في إثبات الصراط على قولين:

القول الأول: اثبات الصراط وهو قول أهل السنة ومنهم الإمام المنشليلي.

يقول المصنف:

ولتعتبـرْ بعـدُ مـا تلقـاهُ مـن خطـر على الصـراط جميـع الخلـق من وجلِ
كـــالريح ثـــم كلمـــح البـــرقِ ســـابقهم أو ســـرعة الخيـــل ســـبقاً ثـــم ذي مهـــلِ

ذكر المنشليلي أن مما يجب الإيمان به الصراط[6]، وقال السنوسي [وأولوا ما قاله (ρ) في وصفه للصراط بالدقة كالشعرة والحد كالسيف ببساطته وهو أنه جسر قول الأكثرين].[7]

أو في قوله [كالريح] أشار الى المرور على الصراط على عباد الله المؤمنين وهو ان منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح الهابّة ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من تسوخ رجلاه في النار وتتعلق يداه ومنهم من يجر على وجهه.[8]

ثم يذكر المنشليلي قول الطائفة التي تخرج من النار وهم أصحاب الكبائر من أهل الايمان – يكونون على الصراط على حسب تقصيرهم في أمر دينهم قال (υ): "حتى يقول العبد يارب أبطأت إليّ، فيقول: أبطأ بك عملك".[9][10]

واستدل أصحاب القول الأول بأدلة من الكتاب والسنة المطهرة.

أولاً) الادلة من كتاب الله

1) قال تعالى {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً}.[11]

وجه الدلالة:

ذكر المنشليلي استدلاله بهذه الآية بأن الصراط يرده الأولون والآخرون ولا طريق للجنة إلا عليه.[12]

رُويَ عن ابن عباس وعن ابن مسعود (τ) قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردوها} أي الصراط يردونها ويصدرون عنها بأعمالهم وقال قتادة ورودها وهو الممر عليها.[13]

2) قال تعالى {مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}.[14]

وجه الدلالة:

فإن انتهوا الى الصراط قيل وقفوهم فأن السؤال يقع هنالك فأهل الجحيم يشرون بالعذاب بدل النعيم.[15]

ثانياً) الادلة من السنة النبوية الشريفة:

1) عن أبي هريرة (τ) أن أناساً قالوا لرسول الله (ρ): يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر الحديث وهو طويل، ومحل الشاهد منه، قوله (ρ) "ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذٍ الا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بقى بعمله ومنهم المجازى حتى يُزجى... الحديث".[16]

2) عن أنس بن مالك (τ) قال: سألت النبي (ρ) أن يشفع لي يوم القيامة قال: (أنا فاعل) قال: قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن".[17]

وجه الدلالة:

ان هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على إثبات الصراط وهو جسر على متن جهنم يمر عليه ويجتازه العباد بقدر أعمالهم وانهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على حسب حالهم أي منازلهم وأعمالهم في الدنيا فإن كانت خيراً جاز له العبور

ويسقط الآخرون فيكون كما وصفه (ρ) أدق من الشعرة وأحد من السيف فيكون هو أول من يمضي عليه ويقطعه ووصف بهذا الشكل لشدة الأهوال فيه.[18]

القول الثاني: نفي الصراط وإنكاره وهو قول أكثر المعتزلة وتردد قول الجبائي فيه نفياً واثباتاً فنفاه تارة وأثبته أخرى وذهب أبو الهذيل[19] وبشر بن المعتمر[20] الى جوازه دون الحكم بوقوعه.[21]

واستدل أصحاب القول الثاني المنكرون للصراط بما أملاه عليهم العقل والفكر من خلال تأويلهم ما جاء من الآيات والأحاديث.

1) من أثبت وصف الصراط بأنه أدق من الشعرة وأحد من غرار السيف وانه على تقدير كونه كذلك لا يمكن عقلاً العبور عليه وإن أمكن العبور لا يمكن إلا من مشقة عظيمة وان الآخرة ليست دار تكليف ليصح إيلام المؤمنين بتكيفهم المرور عليه وهو بهذه الصفة وحينئذٍ وجب أن يحمل قوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}.[22]
ووجه الاستدلال في هذه الآية أي دلوهم واذهبوا بهم الى طريق جهنم.[23]

2) ما قاله بعض العلماء[24] ان المعتزلة أنكروا الصراط فيحتاج الى تقييد بعضهم لأن الإنكار ليس مجمعاً عليه بينهم فهم لم ينكروا أصل ثبوته وإنما أنكروا صفته والدليل ما صرح به القاضي عبد الجبار بثبوته قائلاً [ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده، الصراط وهو طريق بين الجنة والنار يتسع لأهل الجنة ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه وقد دل عليه القرآن وقال ان الفائدة في أن جعل الله تعالى الى دار الجنة طريقاً حاله ما ذكرنا هو لكي يتعجل به للمؤمن مسيرة ولكن مرغماً].[25]
ويُجاب على ذلك.
يقول المصنف:

ولا إحالة في هذا فننكره ... فالطير تبصرهُ في الجو لم يملِ
قل كيف أحوالنا حين الجواز على ... أدق من شعرةٍ أو صارمِ البطلِ

يشير المنشليلي الى قول المصنف (ولا إحالة في هذا فننكره).

أي ما سمحت من سرعة الجواز على الصراط غير مستحيل إذ هو ممكن وقد عرفت أن قدرة الله تتعلق بجميع الممكنات وسلم تسلم، ولا تشغل بالك بالأفكار فتندم واستدل على عدم الاستحالة بسرعة الطير وعدم ميله في الجو[26]، وان الله عز وجل قادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجيزه عليه، والله تعالى قادر على خلق قدرة عليه بأن يخلق له قدرة المشي على الهواء ولا يخلق في ذاته هوياً الى أسفل ولا في الهواء انحراف فإذا أمكن هذا في الهواء فالصراط اثبت من الهواء بكل حال ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا عند الاستحالة ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول[27]. وانه ليس بأعجب من المشي في الهواء أو على الماء وان الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق قدرة

للإنسان حتى يجتاز هذا الصراط[28]. وأن الله تعالى قادر أن يمكن المؤمن من العبور عليه وذلك بتسهيله له فلا يلحقهم بذلك تعب ولا نصب فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم كالريح الهابة ومنهم كالجواد. وهذا توفيق من الله وأعانه فلا مشقة فيه على غير أهل المشقة وفيهم من تجوز رجلاه وتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه.[29]

وقيل أن علياً (υ) تناظر مع بعض المنكرين للأشياء التي بعد الموت فألزمه علي، فلم يلتزم عناداً منه، فقال له علي (υ): ان كان ما تدعيه حقاً فأنا ناجٍ وأنت ناجٍ وإن كان ما أدعيه حقاً فأنا ناجٍ وأنت هالك".[30]

يتبين لي مما سبق إجماع علماء المسلمين بأن الايمان بالصراط واجب ولم يخالفهم سوى بعض المعتزلة وانه جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد حسب أعمالهم وهذا واضح من الأدلة الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهو حقيقة ولا يعدل عنها الى المجاز الا بدليل ولا دليل مخالف هنا والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: الحوض

أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم (ρ) في الموقف العظيم بإعطائه حوضاً واسع الأرجاء ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء يأتيه هذا الماء الطيب من نهر الكوثر الذي أعطاه لرسوله (ρ) في الجنة وترد عليه أمته (ρ) ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

يقول المصنف:

فلتردنــا منــه يــا مــولاي مــن ظمــأ قد أنضـج القلـب والأكبادُ مـن غللِ[31]

وقبل البحث في تفاصيل الحوض لابد أن أوضح المعنى اللغوي والاصطلاحي له:

المطلب الأول: تعريف الحوض لغةً واصطلاحاً

أولاً) الحوض في اللغة: الحوض وجمع الحوض حياض وأحواض وهو مجمع الماء. وما اجتمع فيه الماء والمراد هنا حوض الرسول (ρ) الذي يسقي منه امته يوم القيامة[32]. وقيل مشتق من حاض الماء يحوضه حوضا إذا جمعه، وحاطه ومنه حديث أم إسماعيل (عليها السلام) لما ظهر لها ماء زمزم، جعلت تحوضه"[33]، أي: تجعله حوضاً يتجمع فيه الماء.[34]

ثانياً) الحوض اصطلاحاً: ذكر المنشليلي في تعريفه [والحوض كما وصفه النبي (ρ) ماؤه أشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل، يصب فيه ميزابان من الكوثر، عليه الأواني عدد النجوم في السماء، زواياه سواء، ورائحته المسك. وحصاه اللؤلؤ، لا يظمأ من شرب منه أبداً، ويذاد عنه من بدّل أو غيّر[35]، وقيل بأنه جسم مخصوص

كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهي الأرض البيضاء كالفضة من شرب منه لا يظمأ أبداً، ترده هذه الأمة[36]، وهو الحوض الذي خص الله سبحانه وتعالى نبينا في سورة الكوثر ويشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر وماؤه أشد بياضاً من اللبن واحلى من العسل، حوله أبارق عددها بعدد نجوم السماء.[37]

وتبين لي مما سبق أن الحوض هو المكان الذي أخبر به الرسول (ρ) والذي تفضل الله به على نبيه والذي جعله غياثاً لأمته[38]. وهو مكان يجتمع فيه الماء ويحيط به من كل جانب وخص به كل من أطاعه وتمسك بنهجه، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالحوض وأدلة ثبوته

يقول المصنف:

قد أوتي المصطفى حوضاً له عظمُ ... من خير ما قد أتاهُ الله للرُّسلِ
لاشك فيه كما صح الحديث به ... عن صدقِ وعدٍ فَيُسقى كُل ذي عَمَلِ

يذكر المنشليلي بأنه مما يجب الإيمان به الحوض الذي وصفه النبي (ρ) [39] وهو حق واجب لا يكفر جاحده وإنما يُفسق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة[40]، وان الأحاديث في إثبات حوض النبي (ρ) متواترة صحيحة والإيمان به واجب والإقرار به لازم فوجب الاعتقاد والتصرف بأن الله سبحانه وتعلى قد خص نبيه محمداً (ρ) بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي رويت عن أكثر من خمسين صحابياً أورد البخاري منها في باب الحوض تسعة عشر طريقاً ويحصل بمجموعها العلم القطعي وهذا ما أجمع عليه علماء المسلمين[41]. ولم يكن في القرآن الكريم دليل سوى قوله تعالى.

أولاً) الأدلة في القرآن الكريم:

1) قال تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.[42]

وجه الدلالة:

والاختلاف في معنى الحوض هل هو الخير الكثير أو النهر الذي في الجنة على ستة عشر قولاً، جاء تفسيره ومعناه ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فمنكره زائغ عن الثواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الخزي والنكال انه يطرد عنه ويمنع من الشرب منه.[43]

ثانياً) واستدل العلماء على الحوض من السنة المطهرة:

1) ما رواه أنس بن مالك (τ) قال: أغفى رسول الله (ρ) اغفاءة فرفع رأسه مبتسماً اما قال لهم، واما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله (ρ) "انه أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}[44] حتى ختمها ثم قال لهم هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي فيُقال لي أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[45]

وجه الدلالة:

وفي هذا الحديث إثبات الحوض وان الإيمان به واجب.

2) عن أسيد بن حضير (τ): ان رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله لا تستعملني كما استعملت فلاناً؟ قال "ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض".[46]

وجه الدلالة:

أي تلقوني في يوم القيامة فاصبروا حتى تموتوا فإنكم ستجدوني عند الحوض فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر.

3) عن سمرة (τ) قال: قال رسول الله (ρ): "ان لكل نبي حوضاً وانهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة.[47]

ثالثاً) الإجماع:

اجمع علماء الأمة على إثبات الحوض، وصفاته التي وردت في الأحاديث، عن نبينا محمد (ρ) وقد نقل الإجماع كثير من العلماء ولكثرتها لا يسع المقام لذكرها وسأورد بعضاً منها:

1) يقول المصنف في وصف الحوض:

أصفى بياضاً من الالبان أجمعها من أعذب الماء بل أحلى من العسلِ

يذكر المنشليلي [بأن الحوض ماؤه شديد البياض أشد من بياض اللبن وطعمه أحلى من العسل ويجب الإيمان به].[48]

2) قال أبو الحسن الأشعري (اجمعوا على أن لرسول الله (ρ) حوضاً يوم القيامة ترده أمته، لا يظمأ من شرب منه، ويُذاد عنه من بدل).[49]

3) قال ابن عبد البر (الأحاديث في حوضه (ρ) متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم).[50]

4) قال عبد القاهر البغدادي بالإجماع على اثبات الحوض حيث عدّد المسائل التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة قائلاً [وقالوا بالحوض والصراط والميزان ومن أنكر ذلك حُرم الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط الى نار جهنم].[51]

5) قال القاضي عياض (وحديث الحوض صحيح والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان وهو على وجهه عند اهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يُحال عن ظاهره خلافاً لمن لم يقُل به من النافين له والمحرفين له بالتأويل عن ظاهره).[52]

المطلب الثالث: أقوال المتكلمين في مسألة الحوض والكوثر

اختلف العلماء في مسألة هل ان الكوثر هو الحوض على قولين:

القول الأول: ان الحوض هو الكوثر وهو قول المفسرين والأشاعرة والماتريدية، وإليه ذهب المنشليلي (رحمه الله).[53]

واستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

1) عن أنس (τ) قال:« لما عرج بالنبي (ρ) الى السماء قال: بينما انا اسير في الجنة، واذا بنهرٍ حافتاه باب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر».[54]

2) عن أنس (τ) قال: "بينما رسول الله (ρ) أغفى اغفاءه ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ بس الله الرحمن الرحيم {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}[55] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خيرٌ كثير وحوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول ربِّ إنه من أمتي فيقول لا تدري ما أحدث بعدك".[56]

وجه الدلالة:

قال الحافظ في هذه المسألة ان الكوثر ما هو إلا نهر في داخل الجنة كما جاء مصرحاً في بعض الأحاديث وماؤه يصب في الحوض فالكوثر هو مادة الحوض فمن هذا يطلق على الحوض الكوثر لكونه منه[57]. ويشرب الناس منه فمنهم من يشرب لدفع العطش ومنهم من يشرب للتلذذ ومنهم من يشرب لتعجيل المرة وإن ذكر حديث الكوثر فيه إثبات للحوض وان الإيمان به واجب.[58]

القول الثاني: ان الحوض غير الكوثر ومن ذهب الى هذا القول ابن حجر وغيره من العلماء.[59]

عن أنس (τ) قال: لما عرج النبي (ρ) الى السماء قال: "أتيت على نهر حفتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر".[60]

وجه الدلالة:

قال الحافظ في هذا الحديث [لقد ثبت تخصيص الكوثر بالنهر من لفظ النبي (ρ) فلا معدل عنه[61]. وان ثبت ان الكوثر نهراً أعطاه الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم (ρ) فهل هو الحوض المعني أم لا وبيّن الحافظ ان الكوثر نهر داخل الجنة كما جاء واضحاً

مصرحاً به في بعض الأحاديث وماؤه يصب في الحوض خارج الجنة فالكوثر هو ماء الحوض ويُطلق على الحوض الكوثر لكونه يمر من عنده.[62]

وتبين لي مما سبق والله تعالى أعلم – إجماع علماء أهل السنة ومن وافقهم على أن الكوثر نهر في الجنة أعطي كرامة لنبينا محمد (ρ) وثبت ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المطلب الرابع: موضع الحوض

اختلفت الروايات بين العلماء في تحديد الحوض هل هو قبل جواز الصراح أم بعده وكان ذلك على قولين.

القول الأول: انه بعد الصراط وهو قول البخاري والقاضي عياض وابن حجر وغيرهم من العلماء ومنهم المنشليلي.

يقول المصنف:

والحوض من بعد لا قبل الصراط أتى وقيل قبلُ وقيل اثنان فَلْتَسلِ

يذكر المنشليلي في موضع الحوض في اختلاف أهل الحق فمنهم من قال انه خلف الصراط ومنهم من قال انه في أرض القيامة قبل الصراط وقيل ان له (ρ) حوضين أحدهما قبل الصراط والأخر بعده.[63]

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1) عن أنس بن مالك (τ) عن أبيه قال: سألت النبي (ρ) أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل قال: قلت يا رسول الله أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن".[64]

وجه الدلالة:

ان الحديث يدل على أن الحوض يأتي بعد الصراط والى ذلك أشار البخاري في صحيحه.[65]

2) عن سهل بن سعد قال: قال النبي (ρ): "إني فرضكم على الحوض من مرَّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم.[66]

وجه الدلالة:

قال القاضي عياض ظاهر قوله (ρ): "من لم يشرب لم يظمأ أبداً" يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار أبداً.[67]

3) عن ثوبان (τ): "أن النبي محمد (ρ) قال: إني لبعقر حوفي أضود الناس لأهل اليمين أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال: من مقامي الى عمان وسُئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والأخر من ورق".[68]

وجه الدلالة:

قال ابن حجر: قد تقدم ان الصراط جسر جهنم وأنه بين الموقف والجنة وان المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها.[69]

القول الثاني: ان الحوض قبل الصراط وهو قول الجمهور وإليه ذهب الغزالي[70] وابن كثير.[71]

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1) عن أنس عن النبي (ρ) قال: "ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصيحابي؟ فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك".[72]

وجه الدلالة:

هذا يدل على أن الحوض في العرصات قبل الصراط هو انه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجازوك الصراط ولكن يهون في جهنم.[73]

2) عن أبي هريرة (τ) أن النبي (ρ) قال: "لأذودنَ عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل".[74]

وجه الدلالة:

ان ظاهر ما تقدم في هذا الحديث يقتضي أن يكون الحوض قبل الصراط لأنه يُذاد عنه أقوام يُقال عنهم انهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقهم، فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط بل يُكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه وان كانوا عصاة فهم من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء وقد قال (ρ): "اعرفكم غراً محجلين من آثار الوضوء".[75]

ثم من جاوز لا يكون إلا ناجياً مسلماً فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله تعالى أعلم ان الحوض قبل الصراط.[76]

وذهب بعض العلماء الى التفويض وعدم ترجيح أياً من الموضعين وإن هذه الأحاديث ظواهر لا تفيد قطعاً.[77]

وبعد أن ذكر أقوال العلماء في تحديد الموضع وبالجملة: ان جهل التقدم والتأخر غير قادح في العقيدة بعد اعتقاد الثبوت[78] – والله تعالى أعلم -.

الخاتمة:

1) اوضحت بان الصراط جسر ممدود الى الجنة وان صفته ادق من الشعرة واحد من السيف.
2) ولقد تناولت موضوع الصراط من حيث الإيمان به واثباته وكيفيته.
3) ذكرت في موضوع الصراط أهم القوام على ثبوته وأيضاً أوردت منكريه مع الأدلة.
4) تناولت موضوع الحوض وقمت بتعريفه وذكر صفاته التي وردت في الأدلة.
5) بينت أهم الأقوال في مسألة الحوض في إثبات أن الحوض هو الكوثر أم غير ذلك.
6) اثبت مسألة الحوض وبانه مورد كريم اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب من ريح المسك وهو حق واجب لا يكفر جاحده بل يفسق وهو مذهب اهل السنة.

Conclusion:

1) she explained that the path is an elongated bridge to heaven and that its character is finer than a hair and one than a sword.
2) I have dealt with the subject of the way in terms of believing in it, proving it and how it is.
3) in the subject of the Qur'an, I mentioned the most important proofs of his proof and also listed his deniers with the evidence.
4) I addressed the topic of the aquarium, defined it and mentioned its qualities, which were stated in the manuals.
5) the most important statements in the question of the pelvis have been shown in proving that the pelvis is Al-Kawthar or otherwise.
6) prove the issue of the basin and that it is a generous resource whiter than milk, sweeter than honey and kinder than the wind of Musk, which is a right and a duty that does not disbelieve ungrateful, but corrupts, which is the doctrine of the people of the Sunnah.

الهوامش :

[1] سورة مريم: الآية 71.
[2] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/393.
[3] ينظر: تهذيب اللغة: للأزهري، ج/2، ص/1673، ولسان العرب: لابن منظور، ج/7، ص/313. وينظر: معجم ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن الحسين الفارابي (ت: 350هـ)، تحقيق: أحمد

مختار عمر، مراجعة: د.ابراهيم أنيس، الناشر: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة (1424ه/2003م)، ج/1، ص/461. وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت: 77هـ)، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، د.ط، د.ت، ج/1، ص/274. وينظر: تاج العروس للزبيدي، ج/19، ص/437، المادة (سوط).

[4] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/391.

[5] ينظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر: عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن إبراهيم (ت: 1071هـ)، تحقيق: عصام رواسي قلعجي، الناشر: دار المأمون للتراث، ط/1، 1987م، دمشق، ص/46. وينظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: محمد صديق حسن خان القنوجي (ت: 1307هـ)، تحقيق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي (عالم الكتب)، ط/1، 1984م، بيروت، ص/126.

[6] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/391.

[7] ينظر: شرح الجزائرية للسنوسي: ص/418-419.

[8] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/392.

[9] جزء من حديث طويل، أخرجه الحاكم في المستدرك عن طريق أبي الزعراء عن ابن مسعود (رضي الله عنه) برقم (8519) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وعزاه للهيمي في المجمع: ج/10، ص/330 الى الطبراني في الكبير عن طريق ابي الزعراء.

[10] ينظر: شرح المنظومة الجزائرية: ص/392.

[11] سورة مريم: الآية 71.

[12] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/391.

[13] ينظر: تفسير تنبيه الافهام لابن برجان، ج/4، ص/39.

[14] سورة الصافات: الآية 23.

[15] ينظر: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ) الناشر: دار الحديث، ط/. د.ت، القاهرة، ص/589؛ وينظر: السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت: 977هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، بيروت، ج/3، ص/306.

[16] صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية، ج/1، ص/163، رقم الحديث (182).

[17] سنن الترمذي: للترمذي أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في شأن الصراع، ج/4، ص/621 رقم الحديث (2433) قال أبو عيسى (هذا حديث حسن غريب) لا نعرفه الا من هذا الوجه.

[18] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي ج/3، ص/20. وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، ط/1، 1423هـ- السعودية، ج/1، ص197.

[19] أبو الهذيل: هو محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي العلاف، مولى عبد القيس شيخ المعتزلة في الصبرة ولد سنة (133هـ) وقيل (135هـ) وهو من الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة (ت: 235هـ).

ينظر: طبقات المعتزلة: لأحد بن يحيى بن المهدي لدين الله المعتزلي (ت: 84هـ)، تحقيق: د. ديفيد فليلزر، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ، ص/44.

[20] بشر المعتمر: الهلالي البغدادي أبو سهل فقيه معتزلي مناظر من أهل الكوفة له قصيدة من أربعين بيت رد فيها على جميع المخالفين، توفي ببغداد سنة (210هـ). ينظر: الاعلام للزركلي، ج/2، ص/55.

[21] ينظر: شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار، ص/738. وينظر: المواقف: للإيجي، ج/3، ص/525 وشرح العقيدة النسفية للتفتازاني، ص/134.

[22] سورة الصافات: الآية 23.

[23] ينظر: شرح الأصول الخمسة: للقاضي عبد الجبار: ص/737؛ وينظر: المواقف للايجي: ج/3، ص/523؛ وينظر: شرح المقاصد للتفتازاني، ج/2، ص/223.

[24] ينظر: التفسير البسيط: ج/19، ص/34؛ وينظر: الغنية في أصول الدين: المتولي: ص/166؛ وينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحيى بن ابي الخير العمراني (ت: 558هـ)، تحقيق: د. سعد بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، د. ط، (1319هـ، السعودية)، ج/3، ص/720.

[25] ينظر: شرح الأصول الخمسة: ص/738.

[26] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/392-393.

[27] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد: للغزالي: ص/190؛ وينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: للقرطبي، ج/2، ص/29.

[28] ينظر: قواعد العقائد للغزالي، ص/224؛ وينظر: شرح المقاصد للتفتازاني، ج/2، ص/164؛ وينظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ص/159.

[29] ينظر: المواقف للإيجي، ج/3، ص/525. وينظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ج/2، ص/223. وينظر: الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: أبي المعالي عبد الملك الجويني (419-478هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية 1995م، ص/379.

[30] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/393.

[31] المنظومة الجزائرية: ص/394.

[32] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، ج/1، ص/461؛ وينظر: لسان العرب: لابن منظور، ج/2، ص/312.

[33] لسان العرب: لابن منظور: ج/7، ص/141؛ وينظر: تاج العروس: لمرتضى الزبيدي، ج/18، ص/308.

[34] تاج العروس: لمرتضى الزبيدي، ج/18، ص/30.

[35] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/394-395.

[36] ينظر: عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة لعبد الكريم فتان، ومحمد أديب الكيلاني، الناشر: البشائر – دمشق، ط/1، 1419هـ- 1999م، ج/2، ص1119.

[37] ينظر: الايمان اركانه، حقيقته، نواقضه: د. محمد نعيم ياسين، الناشر: دار عمر بن الخطاب – الإسكندرية (د. ط)، ص/67.

[38] ينظر: الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه: ص/67.

[39] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/394.

[40] ينظر: شرح العقيدة النسفية: ص/147؛ وينظر: حاشية البيجوري، ص/302؛ وينظر: المسامرة شرح المسايرة: ص/242.
[41] ينظر: الابانة عن أصول الديانة: للأشعري، ج/1، ص/245؛ وينظر: غاية المرام في علم الكلام: للآمدي: ص/301؛ وينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر: ج/2، ص/291؛ وينظر: البدور السافرة في أحوال الآخرة: للسيوطي: ص/241.
[42] سورة الكوثر: الآية 1.
[43] ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج/20، ص/216. وينظر: التفسير البسيط، ج/24، ص/372.
[44] سورة الكوثر: الآية 1.
[45] صحيح مسلم – كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ج/1، ص/300 رقم الحديث (400).
[46] المصدر نفسه .
[47] اخرجه الترمذي في جامعه باب ما جاء في صفة الحوض، ج/4، ص/628، وقال: حديث حسن غريب.
[48] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/394.
[49] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ج/15، ص/53.
[50] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي: محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة العموم والأوقاف والشؤون الدينية، المغرب – 1387هـ، ج/2، ص/291.
[51] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت: 263هـ)، ج/2، ص/291.
[52] ينظر: إكمال المعلم للقاضي عياض: ج/7، ص/132.
[53] ينظر: المواقف: للإيجي، ج/3، ص/524، شرح المقاصد للتفتازاني، ج/2، ص/223، التمهيد كما في الموطأ عن المعاني والأسانيد لابن عبد البر، ج/5، ص/219، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ج/4، ص/122، ومعارج القبول: للحافظ الحكمي، ج/2، ص/871، وروح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي (ت: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ج/1، ص/83.
[54] المنظومة الجزائرية: ص/395.
[55] صحيح البخاري، ج/5، ص/2406، ج- 6210.
[56] صحيح البخاري، ج/8، ص/119 ج- 6579 وصحيح مسلم، ج/1، ص/300، ج-400.
[57] ينظر: فتح الباري لابن حجر، ج/11، ص/466.
[58] ينظر: شرح صحيح مسلم: للنووي، ج/4، ص/113؛ وينظر: تحفة المريد: للبيجوري: ص/303-304؛ وينظر: حادي الأرواح الى بلاد الافراح: لابن القيم: ص/13.
[59] ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري: ج/26، ص/418.
[60] صحيح البخاري كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكوثر، ج/4، ص/1898 برقم (4680).

[61] فتح الباري، ج/8، ص/732.
[62] ينظر: فتح الباري، ج/11، ص/466-467.
[63] ينظر: المنظومة الجزائرية: ص/394-495.
[64] مسند أحمد، ج/3، ص/178 برقم (12848) قال شعيب الارنؤوط: رجاله رجال الصحيح ومتنه غريب، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في شأن الصراط برقم (2433)، ج/4، ص/621.
[65] تحفة الاحوذي: للمباركفوري، ج/7، ص/102.
[66] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج/5، ص/2406، برقم (6212).
[67] ينظر: اكمال المعلم: ج/7، ص/103 وفتح الباري لابن حجر، ج/11، ص/466.
[68] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا (ﷺ) وصفاته، ج/4، ص/1799 برقم (2301).
[69] فتح الباري، ج/11، ص/466. وينظر: تحفة المريد للبيجوري: ص/203- 204.
[70] ينظر: احياء علوم الدين: للغزالي، ج/1، ص/92؛ وينظر: التذكرة للقرطبي، ج/1، ص/249؛ وهداية المريد: للقاني: ص/371.
[71] ينظر: النهاية في الفتن والملاحم: لابن كثير، ج/1، ص/208؛ شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز: ص/227؛ وهداية المريد للقاني، ص/371؛ وتحفة المريد: للبيجوري: ص/203.
[72] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج/5، ص/2406 برقم 6211.
[73] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز: ص/227 وجامع اللآلي: ص/273.
[74] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا (ﷺ) وصفاته، ج/4، ص/1800 برقم (2304).
[75] صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ج/1، ص/217 برقم (247).
[76] النهاية في الفتن والملاحم: ج/1، ص/208.
[77] ينظر: النكت المفيدة: للقيرواني، ص/148.
[78] هداية المريد: ص/372.